

اجتهادات رمضان بدون مسلسلات

الأغلبية الساحقة من المصريين الذين يعيشون الآن يربطون بين شهر رمضان، والدراما التلفزيونية. المسلسلات التي تُبث في هذا الشهر تعتبر أحد أبرز معالمه لديهم، لأن هذا هو ما وجدوه منذ نشأتهم الأولى. قليل فقط منهم يعرفون كيف كان الشهر الكريم مختلفاً قبل أن تصبح المسلسلات أحد معالمه الأساسية، ويزداد عددها تدريجياً، بدءاً من أواخر ستينيات القرن الماضي.

نسبة محدودة من المصريين يذكرون كيف كانت ليالي رمضان حافلة بالتواصل العائلي والاجتماعي، عبر زيارات متبادلة في المنازل، ولقاءات في المقاهي والأندية والأماكن العامة التي كان بعضها يستقبل أعداداً هائلة من الناس كل مساء بعد الإفطار.

ومن أبرز هذه الأماكن ميدان عابدين، الذي كان الذهاب إليه أحد أهم التقاليد التي يحرص عليها عدد كبير من المصريين في رمضان، إلى جانب الميادين التي توجد فيها المساجد المشهورة لآل البيت، مثل ميداني الحسين والسيدة زينب.

واستمد ميدان عابدين أهميته في رمضان، منذ منتصف الثلاثينيات، حتى منتصف الخمسينيات، من التقاليد الملكية التي جعلته قبلة لأعداد كبيرة من الناس في ليالي رمضان. كان قصر عابدين يُضاء بأنوار الفوانيس لإحياء هذه الليالي، وتوضع مقاعد في فناءه، وأخرى في محيطه وجناباته،

لجلوس آلاف الناس كل ليلة للاستماع إلى القرآن الكريم. لم تكن هناك مسلسلات تشغلهم، وتحدد جدول أعمالهم، ومواعيد خروجهم من منازلهم وعودتهم إليها، لمتابعة حلقات هذا المسلسل أو ذاك.

وكانت المآدب المفتوحة تقام في هذا الميدان لتناول الإفطار، ويتوافد عليها الفقراء والمحتاجون. وهذه هي الصورة الأولى، لما أصبح يُطلق عليه «مآدب الرحمن». وبدأت تلك المآدب في ساحة القصر، بمبادرة من الديوان الملكي في نهاية الثلاثينيات، واستمرت عاما وراء آخر، وتوسع نطاقها في الميدان كله عندما ازداد الإقبال على تنظيمها والتبرع لها، ولم تكن هناك مآدب خارج ميدان عابدين في تلك المرحلة. وعندما ازدادت أعداد من يتوافدون إليها، ولا يجد بعضهم أماكن، طلب الملك فاروق الاتفاق مع عدد من المطاعم في أنحاء القاهرة والإسكندرية، والإعلان عنها، ليذهب إليها الفقراء لتناول الإفطار، والسحور أيضاً، على نفقته.

واستمرت هذه التقاليد لسنوات قليلة، بعد إلغاء الملكية، حيث ظل ميدان عابدين معلماً أساسياً في رمضان حتى عام 1955.